

إسهامات علماء المدرسة المغربية في إثراء جانب اللغة العربية والدراسات القرآنية - ابن عطية الأندلسي أنموذجاً -

The contribution of The Maghreb scientists in the development of Arabic and the Quranic studies Ibn Atia as a sample study

أ. رمضان قول

جامعة يحيى فارس المدية - الجزائر

الملخص:

لقد نشأت الدراسات اللغوية عند العرب منذ بدأ اللحن يطغى على ألسنة الناس، وذلك بدخول الأعاجم في الإسلام، واختلاطهم بالقبائل العربية التي كانت متاخمة لحدود فارس والروم، وتزامنا مع انتشار الإسلام في شمال إفريقيا والأندلس، انتقل الدرس اللغوي إليها، كما انتقلت اللغة العربية والقرآن الكريم، فازدهرت العلوم ونضجت وتطورت بسبب انتقال العلماء المغاربة والأندلسيين إلى المشرق وأخذهم العلوم عن أهلها، وبذلك ظهر نبوغ وحضور مغربي وأندلسي قوي أثرى الفكر العربي، وهذا بفضل علماء أعلوا شأن وصرح اللغة العربية والدراسات القرآنية، ونشرها في الأقطار المجاورة، ونظرا للدور الذي لعبه علماء المدرسة المغربية في خدمة اللغة العربية والدراسات القرآنية ارتأيت أن أجعل بحثي هذا في هذا الجانب المهم، فكان العنوان إسهامات علماء المدرسة المغربية في إثراء جانب اللغة العربية و الدراسات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: ابن عطية، المحرر الوجيز، اللغة، النحو، البلاغة..

Abstract:

Linguistic studies have started with the appearance of the language mistakes due to the arriving of the non-Arab people to the

Arab Islamic countries, in addition, many Arab tribes to were living in the borders of Persia and Rome. coinciding with the spread of Islam in North Africa and Andalusia, the linguistic lesson moved to them. As a result, the Arabic language and Quranic studies flourished there and in neighbouring countries.

Keywords: Ibn Atia, ‘muharir wajiz’, language, grammar, rhetorics.

مقدمة:

نظرا للنقص المسجل في هذا الجانب مقارنة بغيرهم من المشارقة، حاولت جاهدة التطرق إلى جهود علماء المغرب ممن كان لهم الدور الفعال في هذا الجانب المهم، واستطاعوا بذلك فرض أنفسهم بقوة على الساحة الفكرية والمعرفية، وترك بصمات قوية في هذا المجال، كابن عطية، والقرطبي، وأبي حيّان الأندلسي، والسّهيلي، وابن مضاء، والثعالبي، وابن عاشور وغيرهم.

ولا يمكن أن آتي على كلّ إسهامات كل علماء المدرسة المغربية في اللغة العربية والدراسات القرآنية، وإنما اخترت علما بارزا من علماء هاته المدرسة، وهو ابن عطية الأندلسي من خلال كتابه المحرّر الوجيز، ومن خلال تناولي لهاته الشخصية العلمية العظيمة أحاول جاهدة أن أجد الإجابة على الكثير من الأسئلة المطروحة وهي :

من هو ابن عطية ؟ وهل حظي جانب اللغة العربية والدراسات القرآنية باهتمام ابن عطية؟ وهل تميّزت الدراسات المتعلقة بجانب اللغة العربية والدراسات القرآنية عند ابن عطية الأندلسي عن نظيره في المشرق ؟ ثم إلى أي مدى يمكن أن نتحدث بفعل عن مساهمة ابن عطية في إثراء جانب اللغة العربية و الدراسات القرآنية ؟ وأخيرا ما هي الإضافات التي قدّمها ابن عطية في هذا الميدان ؟ أو لنقل ما أثر ابن عطية على الأجيال اللاحقة؟

وأما عن هدف الدراسة، فإنّها تهدف إلى التعريف بهذه الشخصية العلمية المغاربية الأندلسية.

1- التعريف بابن عطية الأندلسي:

1-1- مولده ونشأته: هو ابن عطية الأندلسي عالم كبير من علماء المغرب والأندلس، عاش في الفترة الممتدة بين نهاية القرن الخامس الهجري ومنتصف القرن السادس للهجرة .

ولد سنة 480 هـ وتوفي سنة 546 هـ، ينتمي إلى أسرة بني عطية التي عرفت بالعلم والأصالة والأدب، وتتميّز شخصية ابن عطية بالمعرفة الشاملة، والإلمام بعلوم الشرع والأدب واللغة والمنطق، مع قوّة الذكاء والهمة الكبيرة في قراءة الكتب واقتنائها مع النشاط الواسع.

1-2- شيوخه: لقد تلقى ابن عطية العلم عن شيوخ كثيرين، كان من أبرزهم والده وابن الباذش وغيرهما، وأما تلامذته فهم كثر، من بينهم ابن الطّيفيل، والإشبيلي، والمرسي، وابن حبيش، والقيسي، وابن مضاء اللّخمي القرطبي

1-3- مجال الإبداع: لقد أبدع ابن عطية في مجالات كثيرة منها: مجال اللغة، والتفسير، والفقه، والأصول، وعلم القراءات، والشعر، والأدب وغيرها¹.

¹ عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتان العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج1ص26 وما بعدها.

1-3- آثاره: أثرى ابن عطية المكتبة الإسلامية بمؤلفات تتبى عن مدى علمه وغزارة معرفته، كان من أشهرها وأهمها كتابه في التفسير، وهو من أشرف وأجل ما كتب، وأراد من خلال هذا السفر العظيم أن يتقرب إلى الله، ليكون من بين الحسنات التي تنفعه عند الله، فتنقذه من النار، وتدخله الجنة.

وسماه "المحرر الوجيز"، ليكون محرراً من تقليد الآراء السابقة، ووجيزاً حتى لا يكون مستطرداً مطولاً، فكان وافياً بالغرض. وأما عن عدد أجزاء الكتاب فإنه يقع في ستة أجزاء على حسب ما هو متوفر.

لقد قام مجموعة من علماء الأزهر الشريف مشهود لهم بالعلم والرصانة في البحث بتحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه، حتى خرج في ثوب قشيب جميل يليق بمكانة هذا السفر العظيم¹.

2- كتاب المدرس الوجيز:

هو موسوعة علمية شاملة، حيث احتوى على المسائل اللغوية، والنحوية، والشرعية، ومسائل الاشتقاق، والترادف، والمشتراك اللفظي والدلالة، والأضداد، والغريب، والإعلال، والإبدال، والقلب، والوقف، والابتداء، بالإضافة إلى علم القراءات، والمسائل الفقهية، والبلاغية، وقضايا الإعجاز وغيرها.

¹ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2-1- مصادر الكتاب:

إذا نظرنا إلى المصادر التي أخذ منها ابن عطية فبني عليها كتابه، نجدها متنوعة، ففي مجال التفسير جمع ابن عطية في كتابه بين مشرقي، ومغربي، وأندلسي، فأخذ عن الطبري، والمهدوي، ومكي بن أبي طالب، وفي مجال القراءات أخذ عن أبي علي الفارسي، وابن جني، وأبي عمرو الداني، وفي مجال اللغة والنحو أخذ عن سيبويه، والفراء، والزجاج، والأخفش، وفي مجال الحديث أخذ عن البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي، وفي مجال العقيدة أخذ من كتب الأشاعرة¹.

2-2- منهج الكتاب:

لقد اعتمد ابن عطية في كتابه المحرر الوجيز المنهج الأثري مع الأخذ بالرأي كذلك، أي الممازجة بين الطريقتين معاً، فهو منهج يقوم على النقل مع الاجتهاد، واستعمال النظر والعقل، ولكن ليس معناه العقل المجرد من كل أصل، بل العقل والرأي المستند إلى أصول شرعية ولغوية.

وإذا جئنا لنفصل القول في هذا المنهج العلمي نقول ما يلي:

1 - إن ابن عطية كان ينقل عن غيره مع عزو الأقوال أحياناً إلى مصادرها، مع مناقشة هذه الأقوال، أو تنفيذها وإبطالها والرد عليها أحياناً، أو

¹ ينظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 20 وما بعدها، وعبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1973، ص 95 وما بعدها.

ذكرها دون تعقيب، أو ذكرها مع التوفيق بينها، أو ذكرها من باب التمثيل لا الحصر أحيانا أخرى، بمعنى أنّ ابن عطية لم يكن ناقلًا وحسب، بل كانت تظهر شخصيته العلمية في البحث، فكان يتمتع بحس نقدي علمي كبير.

2 - كان ابن عطية يُعنى بتخريج الأحاديث، لكن دون مراعاة لجانب الصحة، والضعف في بعض الأحيان، وهذا نقص عند ابن عطية؛ لأنّه لم يكن متخصصًا في هذا الجانب.

3 - يقوم الترجيح عند ابن عطية على أسس علمية منها:

- الترجيح اعتمادا على اللغة .

- الترجيح بالحديث.

- الترجيح وفق مقتضى اللفظ القرآني .

- الترجيح بعموم اللفظ.

2-3- اللغز فلاح الصلح الهجير:

احتلت اللغة عند ابن عطية مكانة كبيرة في مصنفه، وكان يستعمل هذا الجانب ليشير إلى عريّة القرآن الكريم مع وجود كلمات أعجمية للاحتكاك الحاصل بين

العرب، والعجم¹.

2-4- النحو فلاّح الصلر الوليز:

لقد اعتنى ابن عطية في كتابه بجانب النحو كثيرا، فكان يشير إلى مسائل الإعراب، مع التطرق إلى المذاهب البصرية، والكوفية، لكن دون أن يسلم بأرائهما، بل كان يرجح بين هذه الآراء النحوية، ويردّ عليها، وهذا فيه تفنيد للتهمة التي ألصقت به، وهي ميله للبصريين، وإن كان لا ينفي عنه تأثره بأراء سيبويه وترجيحها.2

2-5- القراءات القرآنية:

اعتنى ابن عطية بالقراءات القرآنية وتوجيهها، وقد كان يستعمل الصحيح والشاذ من القراءات، وإن كان قد استفاد من أبي علي الفارسي وابن جنّي، وأبي عمرو الداني، ولكن هذا لا يمنع من اجتهاده والإتيان بالجديد.

أما علم التوجيه فقد أخذ حقه عند ابن عطية، فكان يوجّه القراءات لكن مع نقدها، اعتمادا على الجانب النحوي واللغوي، ولكن نلاحظ عليه أحيانا أنه كان يردّ القراءة الصحيحة اتّباعا لسيبويه، وهذا ما فتح الباب لأبي حيّان بعد ذلك في

¹ ينظر: عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 130 وما بعدها، محمد حسين الذهبي، والتفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، 14 شارع الجمهورية عابدين، ج1، ص171 وما بعدها.

كتابه البحر أن ينقده ويردّ عليه، ويقول كيف لرجل كابن عطية أن يردّ قراءة صحيحة ثابتة جاءت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولكن ابن عطية كان له تخريجه في هذا، وهي مسألة عدم جواز العطف على الضمير اتّباعاً للبصريين¹.

2-6- الفلّح في المذرر الوهيز:

اعتنى ابن عطية بالفقه المقارن بين المذاهب، لكن مع تفصيل القول في المذهب المالكي، دون أن يأخذه ذلك إلى التعصّب المقيت للمذهب المالكي، بل كان يتعصّب للدليل ويرجّح أحياناً خلافاً للمذهب، عكس ما كان عليه ابن العربي الذي كان يتعصّب للمذهب المالكي تعصّباً مقيتاً، أمّا موقفه من المذهب الظاهري، فإنّه كان لا يفتي به، بل كان يردّ عليه لأنّه كان على مذهب أهل السنة.

لقد امتاز ابن عطية في تعامله مع القضايا الفقهية، فكان لا يسرف فيها كثيراً بخلاف القرطبي، بل كان اعتناؤه منصباً نحو ذكر أدلة الأحكام، دون التعصّب للمذهب المالكي لما أشرنا آنفاً.

¹ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 153 وما بعدها، محمد حسين الذهبي، والتفسير والمفسرون، ج 1، ص 171 وما بعدها.

2-7- موقف من الأسرائيليات:

تميّز منهجه في هذا الجانب بعدم الإكثار منها، فكان يميل إلى التقليل، بخلاف ما كانت عليه التفسيرات السابقة، وهذه خطوة مهمة في المدرسة المغاربية¹.

2-8- التفسير الرمزي عند ابن عطية:

قام ابن عطية بمحاربة التفسير الرمزي؛ لأنه تفسير يقوم على اللبس والغموض، ويستعمل الألغاز والرموز، فالتفسير عنده لابد أن يكون واضحاً مفهوماً لا لبس فيه ولا تعقيد، ولذلك قام بمواجهة التفسير الباطني².

3- الإعجاز القرآني عند عطية:

تطرق ابن عطية إلى قضية الإعجاز القرآني، وأشار إلى أنّ الإعجاز يكمن عنده في النظم والأسلوب، مع قوة الفصاحة والبلاغة، مع صحة المعاني، تأثراً في هذا بمن سبقه من الأئمة، كالإمام الخطّابي.

لم يكن ابن عطية هو أول من تكلم في قضية الإعجاز القرآني، وإنما سبقه إلى هذا أئمة كثيرون، وأول من تكلم في الإعجاز كما نعلم أئمة المعتزلة، وخاصة مع النظام الذي نادى بالقول بالصرفة، وأنّ الله صرف العرب وسلب عنهم قدرة التأليف على شاكلة القرآن الكريم .

¹ عبد الوهاب عبد الوهاب فليد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 171 وما بعدها، ومحمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1 ص 171 وما بعدها.

² المرجع نفسه، ص 186 وما بعدها.

لكننا نقول لو كان الإعجاز قائما على الصّرفة كما يدّعي المعتزلة ما سمّي إعجازا أصلا، وكان بإمكان أيّ واحد أن يقول لولا الصّرفة لألفت على نحو القرآن الكريم، ثم جاءت الأشاعرة بعد ذلك، وقالوا بأنّ الإعجاز كائن في الكلام النّفسي القديم، ثم جاء الرّماني بعد ذلك وتكلم عن الإعجاز أيضا، ثم جاء الخطّابي، وقال بأنّ الإعجاز يكمن في نظمه العجيب وتأثيره في النّفس، ثم جاء الباقلاني وتكلم عن الإعجاز، ليأتي بعد ذلك عبد القاهر الجرجاني في القرن 3هـ ويفصل القول في إعجاز القرآن من خلال كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، ليقول بأنّ السّابقين تكلموا عن الإعجاز، ولكنهم لم يصلوا إلى جوهره وحقيقته ليأتي هو ويفصل القول في ظاهرة الإعجاز، فيبين في كتابه الدلائل أنّ الإعجاز يكمن في نظم القرآن القائم على توحي معاني النّحو، ليشهد النّظم في عهده نضجا وتطوّرا واكتمالا يصل إلى حد إنشاء نظرية سمّيت بنظرية النّظم التي استطاعت أن تفتح الباب واسعا للدراسات الحديثة لتستفيد منها؛ فهي نظرية قائمة على شرح مباحث علم المعاني؛ وأمّا الكتاب الثاني وهو أسرار البلاغة فشرح فيه مباحث علم البيان، ليأتي بعد ذلك ابن عطية ويستفيد من كلّ هذا، ويقول بأنّ الإعجاز كائن في النّظم والأسلوب مع قوّة الفصاحة والبلاغة، مع صحّة المعاني متأثرا في هذا بالخطّابي، ورادّا على المعتزلة والنّظام القائلين بالصّرفة¹.

¹ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 193 وما بعدها.

4- ابن عطية والمعتزلة:

لقد اتهم ابن عطية بأنه كان يحمل عقيدة وأفكار المعتزلة؛ لأن تفسيره تضمن أفكارا اعتزالية فيها ميل ودفاع عن آراء المعتزلة، وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر الهيتمي، وإن كان ابن تيمية قد أشاد بمكانة ابن عطية وتفسيره بين النفاير.

حجة ابن تيمية: لقد استند ابن تيمية في اتّهامه لابن عطية بالاعتزال إلى أنّ ابن عطية كان يأتي بأقوال وآراء المعتزلة في كتبه ويسوقها، دون أن يأتي عليها بالردّ والإبطال، ولكن هذا استقراء ناقص من ابن تيمية للنصوص، ولو أنّ ابن تيمية استقرأ كلّ النصوص لعلم أنّ ابن عطية بريء من هذه التهمة التي ألصقت به والدليل ما يلي :

1- إتيانه بآراء وحجج المعتزلة، ثمّ مناقشتها وتقنيدها وإبطالها والردّ عليها، ولو كان معتزليا لتبناها أو لدافع عنها.

2- إنّ سوق ابن عطية لآراء وحجج المعتزلة وتركها دون ردّ أحيانا كما قال ابن تيمية، كان اكتفاء بالردود السابقة على هذه الحجج من جهة، وللتشابه الحاصل من جهة ثانية، وحتى لا يقع التكرار من جهة ثالثة، فكان يكتفي برده السابق، وربما هذا ما لم يفهمه البعض على حقيقته، فذهبوا لاتّهامه بالاعتزال.

3- أنّ ابن عطية قد خالف المعتزلة في قضايا جوهرية هي بمثابة الأصول التي قامت عليها عقيدة المعتزلة، وهي:

- قضية المنزلة بين المنزلتين: وهي أنّ صاحب الكبيرة إن لم يتب إلى الله فهو في منزلة بين المنزلتين، وهو مناقض لما ذهب إليه ابن عطية من أنّه داخل في عفو ورحمة الله عزّ وجلّ، إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ومادون الشّرك داخل في عفو الله ومغفرته.

- رؤية الله عزّ وجلّ: المعتزلة ينفون رؤية الله في الآخرة للمؤمنين، وابن عطية يثبتها، ويقول إنّ عدم الإدراك والإحاطة بالشّيء، لا يعني عدم رؤيته، ففي قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ عدم إدراك الذات الإلهية لا ينفي رؤية وجه الله، كما في الدنيا ولله المثل الأعلى. فأحياناً لا ندرك حقيقة الأشياء على ما هي عليه في الواقع، ولكننا مع ذلك نراها.

- مسألة خلق أفعال العباد: المعتزلة يقولون بأنّ العبد يخلق أفعال نفسه، لكن أهل السنة يقولون بأنّ الله خالق أفعال الإنسان وأفعاله، وابن عطية مع هذا المبدأ فأين الاعتزال إذن؟

- مسألة الشّفاة لأهل الكبائر: المعتزلة يقولون بأنّه لا شفاة لأهل الكبائر، وابن عطية مع أهل السنة يقولون بالشّفاة لأهل الكبائر.

- قضية الوعد والوعيد: المعتزلة يوجبون على الله فعل الأصلح، ومن ثمّ يوجبون عليه إدخال أهل الجنّة إن كانوا أهلاً لذلك؛ لأنّ الله وعدهم بذلك، ومادام قد وعدهم فيجب عليه الوفاء، ولكن ابن عطية مع أهل السنة لا يوجبون عليه ذلك، بل هذا

محض فضله ورحمته، وفي المقابل يوجب المعتزلة في مسألة الوعيد أن يدخل أهل النار النار؛ لأنه توعدهم بذلك، لكن ابن عطية لا يوجب عليه ذلك، بل يقول هذا من عدله، فهو إن أثاب فبرحمته، وإن عاقب فبعدله.

- مسألة خلق القرآن: المعتزلة يقولون بخلق القرآن الكريم، وهي الفتنة التي تعرّض لها أحمد -رحمه الله- أيام المتوكّل، ولكنّه بقي ثابتاً على موقفه، وجاء ابن عطية في القرن 6هـ وقال بمنث ما قال به أهل السنة أن القرآن كلام الله.

- مسألة التحسين والتقبيح العقليين: في هذه المسألة يقول المعتزلة بأنّ العقل بإمكانه أن يحسّن أو يقبّح، وينبني على هذا ترتيب الثواب والعقاب، لكن ابن عطية يخالف المعتزلة في هذا ويقول بأنّ العقل ليس بإمكانه أن يحسّن ويقبّح وإنّما الذي يملك ذلك هو سلطة الوحي والشرع، لا سلطة العقل؛ لأنّه قاصر عن ذلك، وأنّه لا ثواب ولا عقاب إلّا بمجيء الرّسل لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

- مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهي من ضمن الأصول الخمسة التي قامت عليها عقيدة المعتزلة، والتي انجرّ عنها بعد ذلك القول بالخروج على الحكّام من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي ترتبت عليه مفسدات عظيمة، ومآسي كبيرة، ولكن ابن عطية خالف المعتزلة في هذا الجانب، ورفض القول بالخروج على الحكّام اتّباعاً لأهل السنة، وأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي أن يكون بالدعوة باللّين بالحكمة، فأين الاعتزال إذن؟.

- مسألة الأسماء والصفات: المعتزلة كما نعلم من منهجهم وعقيدتهم أنهم يثبتون الأسماء والصفات وينفون بعض الصفات الإلهية؛ حتى لا تقع مشابهة بين الخلق والمخلوق، وهذا من باب التنزيه تنزيه الذات الإلهية، ولكنهم وقعوا في خطأ جسيم وهو نفي وتعطيل صفات الله عز وجل، أما ابن عطية فمنهجه يقوم على التقويض أحيانا والتأويل أحيانا أخرى.

بعد الذي عرضناه يتبين لنا بوضوح أن الإمام ابن عطية بريء مما نسب إليه من تهمة الاعتزال، وأن كلامه لم يفهم على حقيقته¹.

5 - الدراسات البلاغية عند ابن عطية:

اهتم ابن عطية بالمباحث البلاغية في كتابه، ولكن لم يعط لها الحظ الأوفر مقارنة بغيره من المشاركة كالزمخشري، فكان يقلل منها، وهذا نقص في الدراسات المغاربية.

5-1- المجاز: يقلل ابن عطية من ذكر المجاز في تفسيره، وهذا ما يلاحظ على تفاسير السنة أنها لا تهتم كثيرا بالمجاز، بخلاف أئمة المعتزلة .

5-2- التشبيه: نجد ابن عطية يستعمل التشبيه ويراد به الاستعارة، فأحيانا يفرق بينهما، وأحيانا لا يفرق بينهما، وهذا ما جعل البعض يتحامل عليه، ويقول إنه لا

¹ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 219 وما بعدها.

يفرق بين التشبيه والاستعارة، ولكن هذا أمر مبالغ فيه، وإلا كيف برجل في مقام ابن عطية ألا يفرق بين التشبيه والاستعارة¹.

6 - القيمة العلمية للملحرج المجلد:

أما عن ابن عطية فهو شخصية علمية عظيمة له مكانته بين المفسرين، وأما عن مؤلفه فهو خلاصة التفسير بالأثر من عهد السلف إلى عهده، أثنى عليه العلماء قديما وحديثا، فقال عنه أبو حيان وعن تفسير الزمخشري أنهما عضادتا الباب، وأساسا التفسير، فتفسير ابن عطية أجمع وأخلص، وتفسير الزمخشري أغوص وأعمق، وقال عنه ابن تيمية بأن تفسيره أحسن من تفسير الزمخشري؛ لأن تفسير الزمخشري يقوم على مذهب الاعتزال، أما الطاهر بن عاشور، فقد أثنى عليه كذلك، وقال في مقدمة كتابه التحرير والتنوير بأنه من أحسن التفاسير².

وقد أنثر ابن عطية من خلال تفسيره فيمن بعده، فقد استطاع أن يفتح الباب واسعا لمن بعده أن يكتب ويتحدث في الدراسات البلاغية والبيانية، كابن جزي الغرناطي، ثم مصطفى صادق الرافعي فيما بعد من خلال كتابه إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية، أما على مستوى الدراسات النحوية، فقد استطاع أن يفتح الباب واسعا لأبي حيان بعده أن يكتب ويؤلف في الدراسات النحوية بشكل كبير، كما فتح له الباب ليدلي برأيه في المناقشات الدائرة حول المسائل النحوية والقراءات

¹ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 207.

² أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص 112-113.

القرآنية، والتعقيب والردّ عليها، كما استطاع أن يؤثر على القرطبي ويفتح له الباب واسعاً ليتحدث بإسهاب في المسائل الفقهية، من خلال مؤلفه الجامع لأحكام القرآن، كما استطاع أن يؤثر على الإمام الألويسي، والثعالبي، والشوكاني، والقاسمي، والطاهر بن عاشور، كما تجلّى ذلك من خلال تفسير الثعالبي "الجواهر الحسان"؛ حيث لخص فيه تفسير ابن عطية، إلى جانب شرح وتخريج الأحاديث، مع الانتصار له والردّ عليه أحياناً¹.

النتائج:

وبعد هذا العرض السريع من خلال هذه الورقة البحثية حول فكر ابن عطية الأندلسي يمكن أن نخلص إلى مجموعة من النتائج وهي:

- ابن عطية الأندلسي شخصية علمية قويّة ساهمت بقوة في اللغة والدراسات القرآنية .
- ابن عطية استفاد من التراكم المعرفي السابق وأضاف عليه.
- ابن عطية الأندلسي يؤمن بالاجتهاد والتّجديد لا التّقليد.
- ابن عطية كان حلقة مهمّة في التّفسير.
- منهج ابن عطية في الدّراسة يقوم على الجمع بين النّقل والعقل.
- حضور الحس النقدي في تفسير ابن عطية، فقد كانت لديه القدرة على التّرجيح.

¹ ينظر: عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 271، وحسن مسعود الطوير، جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني من القرن 5هـ حتّى القرن 8هـ، دار قتيبة، دمشق - بيروت، ط1، 2001م، ص 59 وما بعدها.

- منهج ابن عطية في العقيدة يقوم على التفويض والتأويل لا التعطيل.
- المدرسة المغاربية تملك من الأعلام ما يجعلها تضاهي بل وتتافس المدرسة المشرقية.
- ابن عطية لم يكن متعصبا للرجال بل كان متعصبا للحق والدليل.
- ابن عطية يهتم باللغة والنحو.
- الإعجاز عند ابن عطية يقوم على النظم.

قائمة المراجع:

- 1- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993.
- 2- حسن مسعود الطوير، جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني من القرن 5هـ حتى القرن 8هـ، دار قتيبة، دمشق - بيروت، ط1، 2001م.
- 3- عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتان العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001.
- 4- عبد الوهاب عبد الوهاب فايد، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1973.
- 5- محمد حسين الذهبي، والتفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، 14 شارع الجمهورية عابدين.